

مقدمة

لو ترك لي الخيار لأسميت كتابي هذا « أحاديث طبية مبسطة يستسيغها الجالس بجانب الموقدة » ولكن ما الحيلة وقد جرت العادة ألا يتعدى عنوان الكتاب كلمتين أو ثلاث يراعى في اختيارها أن تدل على ما يتبعها من صفحات يمكنها أن تنكش أمام عيني القارىء إذا كانت ما فيها رخيصاً غثاً ، وفي مقدورها أن تتضخم أمام ناظريه رغم صغر حجمها إذا كان ما تحويه جميلاً يسيراً العين ، أو ثميناً يفدى العقل والنفس ، ويأويل المؤلف من القارىء وهو جالس أمام الموقدة في يوم قارص غابت شمس قبل أوانها ودمعت سماؤه بعد إنذار مُرْعِدٍ مبرق . إن بريق اللهب ودفئه يرتفعان به إلى السماء السابعة من شعور الطمأنينة والأمان ، فيشمر عن إحدى ساعديه أو كليهما ، ويعبث بأمعاء الكتاب الضعيف بين يديه ، وكأنه يتشقى ممن يحاول أن يقطع عليه فترة استئثار بما يشتهيها ساكن القطبين . ويأويل المؤلف إذا كان قارئه مولعاً بالغليون يجز عليه بأسنانه في شغف الوهّان وهو يقلب الصفحات المستسلمة بين يدي من اشتراها فوهبته نفسها ملكاً حلالاً . إن مالِكها يطلب منها من ألوان الإغراء ما يوافق مناجه وهو يمتص الدخان الحبيب إلى رئتيه ، ثم وهو ينفخه في الهواء جهداً ضائعاً .

ويا ويلها إذا فشلت في إثبات مقدرتها — وهي بين يديه —
كاعوب تجيد فنون الإغراء والتلاعب بالعاطفة ، فانه لا يلبث أن
يلقى بها وراء ظهره ويولى وجهه نحو الأفق باحثاً عن صيد جديد .
يمثل هذه الروح النقادة والهدامة في لطف ورفق أريد منك
يا قارئ العزيز أن تتمعن السطور المقبلة . وقد عودتك في مؤلفاتي
السابقة أن أتبسط في الحديث كي يسهل التفاهم بيننا . ولكني
حاولت هذه المرة أن أجعلك في بعض الأحيان تشب على قدميك
قليلاً لترى ما وراء الجدران حيث الخبيء المجهول الذي يبدو دائماً
مظالمًا حتى يرفع عنه الحجاب فإذا به نور وضاء يهدى إلى
سواء السبيل .

والله ولي التوفيق والشكر والحمد له أولاً وآخراً .

دكتور مصطفى المبروكي

مارس ١٩٤٧